الفصل الأول

وجود إبليس بين النفي والإثبات

وفيه مقدمة ومبحثان:

المبحث الأول:إبليس بين النفي والإثبات وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول:حقيقة وجود إبليس في توراة اليهود.

المطلب الثاني:حقيقة وجود إبليس في إنجيل النصارى.

المطلب الثالث: حقيقة وجود إبليس عند عرب ما قبل الإسلام.

المطلب الرابع:حقيقة وجود إبليس في الإسلام.

المبحث الثاني:الأدلة الدالة على وجود إبليس رأس الجن في القرآن والسنة

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: الأدلة النقلية.

المطلب الثاني:الأدلة العقلية.

obeikan.com

مقدمة الفصل

قبل أن أخوض في مجال البحث لابد من إثبات حقيقة قاطعة تتعلق بصُلب الموضوع والذي نحن بصدد الحديث عنه، هل فعلا هناك إبليس؟ هل فعلا هناك شيطان؟ وهل فعلا هناك جان؟ وهل هذا الوجود قطعي أم ظني؟ وإذا كان هذا الوجود قطعيا فما الدليل على ذلك؟.

هذا الكلام لابد منه، بل لابد من التسليم به أولا قبل الخوض في أغوار الموضوع، وإلا لما كان لمجال بحثنا أساس ولخضنا في بحر ليس له قرار ولحرثنا في الماء ولاصطدتنا في شباك بالية لا نخرج منها بصيد مهما تعبنا في البحث والتنقيب.

لقد كان وجود الجن وأعبر هنا بالكل واقصد الجزء لان إبليس ما هو إلا جني بلفظ القرآن الكريم كما سنرى إن شاء الله تعالى.

إن وجود الجن ومنهم إبليس ظل وسيظل من المواضيع الشائكة المكتنفة بالمخاطر والممتلئة بالأساطير والأوهام والمحفوفة بالمخاطر، وهي طريق([2]) وعرة من سار أو أراد السير فيها لابد أن يكون على حظر ولابد أن يراعي الدقة قدر الجهد لأنها مواضيع كثر الوضع فيها وكثر فيها الكلام بدون دليل أو إن صح الكلام نقول معظم أدلتها معلولة وتحتاج إلى مراجعة.

لذلك كان لزام على أي باحث في هذا المجال أن يراعي الدقة والصحة والمصادر التي يرجع إليها ليكون كلامه موثقا.

من هنا اختلطت والآراء وكثر الكلام بين من ينكر وجود الجن ومنهم إبليس بالكلية ومرجعه في ذلك القياس المحض والعقل المجرد ولم يرجع في ذلك لدليل، وهؤلاء غالبيتهم من أهل الفلسفة والكلام.

ومنهم من سلم بوجوده أعني إبليس وأعوانه وذلك لوجود الدليل القاطع عليه من أصدق وأدق كتاب على وجه البسيطة منذ نزوله إلى إن تقوم الساعة وهو القرآن الكريم والسنة

[2]) كلمة طريق مؤنث وهي من الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الكثير ويذكر اللفظ.

النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم وهذا ما نستعرضه هنا لنقف على حقيقة أمرنا ليحق الله الحق ويبطل الباطل.

وهناك صنف ثالث أوله بأشياء وكائنات أخرى مثل الدوافع النفسية المتعلقة بالشر. ومنهم من قال:إنهم الجراثيم والميكروبات،وأولها الدكتور البهي بأنهم الملائكة.

المبحث الأول

إبليس بين النفي والإثبات

وفيه تمهيد وأربعة مطالب

تمهيد:

كما تحدثنا في مقدمة الفصل أنه لابد من إثبات وجود إبليس حقيقة وأنه لابد من البداية أن نثبت ما نتحدث عنه حتى نكون منطقيين لأنه من العبث أن نتحدث عن شيء لا وجود له، وإذا أرادنا أن نثبت حقيقة وجوده وأنه موجود بالفعل لابد من أن تكون المصادر موثقة معتبرة ويمكن الرجوع إلى جانب أنه معتد بها.

وليس أفضل في ذلك من الرجوع إلى الكتب الدينية السماوية الثلاثة وإن كان ما يعنينا فيها حقيقة هو القرآن لأنه الكتاب الوحيد الذي لم تناله أيدي البشر،فإذا أردنا دمغ الحجة ودفع الشبهة في التوثيق لهذا الموضوع الشائك أن ننظر لحديث التوراة والإنجيل عنه وإن كان ذلك في عجالة.

المطلب الأول

حقيقة وجود إبليس في توراة اليهود

جاءت اليهودية وجعلت من إبليس(الشيطان) الخصم العنيد لإله السماء وأعطى العبرانيون الشيطان عدة أسماء مثل: " أبوليو" و " بيلزبب" و" أزازيل " .

وأول فكرة كوّنها العبرانيون عن إبليس(الشيطان) هي كون إبليس محامي يترافع أمام الله ويجادله. فمثلاً في سفر أيوب، الإصحاح الأول، نجد قصة عن إبليس وأيوب فحواها أن الله جمع الملائكة ذات يوم ولكن وجد في وسطهم إبليس، فقال له: من أين أتيت يا شيطان؟ فقال الشيطان أنه أتى من الأرض بعد تجوال طويلٍ بها. فسأله الله إن كان قد رأى عبده المطيع أيوب، فقال له الشيطان: إن أيوب يطيعك لأنك مددت له في الرزق والبنين وأعطيته كل ما يتمنى. خذ ما أعطيته وسوف ترى أنه غير مطيع. فقال له الله: أذهب وافعل ما

تشاء بماله وبنيه ولكن لا تتعرض له شخصياً. فذهب الشيطان ليختبر أيوب واستمر الشيطان يلعب دور المحامي والمجادل حتى أيام السبي البابلي عندما اعتقد اليهود أن الشيطان قد تمرد على الله وأصبح مستقلاً بعمل الشر، وهو الذي تسبب في هزيمتهم وسبيهم، لأنهم شعب الله المختار. وبالتدريج نسجوا قصصاً عن الشيطان المتمرد وجعلوا له قروناً وحوافر كحوافر الحصان وجعلوا رائحته كرائحة الكبريت.

– ويعتبر إبليس في "أسفار الكتابات " وفي كتاب " أبو كريفا " اليهودي بأنه هو الذي جلب الموت إلى العالم، كما أنه يمثل بقبض الروح.

– وورد في بعض كتب اليهود مثل كتاب " الزوهر" وكتاب " التلمود البابلي" أن لإبليس زوجة أسمها " ليليث" كانت في السابق زوجة لآدم إلا أنها رفضت الخضوع لآدم لأنها لم خلقت كما خلق آدم خلقاً مستقل خلافاً لحواء التي خلقت من ضلعه ، فتمردت ليليث على آدم وأصبحت تابعه لإبليس وكانت تنجب منه في اليوم 100 طفل .([3])

المطلب الثاني

حقيقة وجود إبليس في إنجيل النصارى

لقد سمى العهد الجديد إبليس Saرضي الله عنهan أو "شيطان". وعندما ترجم الإغريق الإنجيل إلى لغتهم ترجموا إبليس إلى Diabolos التي تعني في اللغة الإنكليزية رضي الله عنهhصلى الله عليه وسلمD صلى الله عليه وسلمvil.

ومعلوم أن المسيحية جاءت من صلب اليهودية فدمغت إبليس(الشيطان) بنفس الدمغة اليهودية وجعلته مصدر الشر في العالم وهو الذي يمنع الناس من الإيمان بالمسيح وهو المسئول عن كل الأمراض النفسية من جنون وما شابه ذلك، إلى الأمراض العضوية مثل البكم.

فيسوع يقول لمن حوله من الناس: " لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من

---

[3]) ينظر: أسطورة ليليث: الأنثى المتمردة. وقد عرفتها بعض المراجع على إنها :أسطورة ليليث(شيطان نسائي ليلى يَطِيرُ بَحْثا عن أطفالِ مواليد جددٍ إمّا لاختطاف أَو خَنْقهم.وأيضاً تَنَامُ مَع الرجالِ لإغْوائهم إلى متكاثرة أبناءِ الشيطانِ).وليليث هي شخصيه معروفه في كتب اليهود حيث تقول الأسطورة:إنها هي الزوجة الأولى لأدم (عليه السلام) قبل حواء.

البدء ولم ينبت في الحق لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب " ([4]).

" وكان يخرج شيطاناً وكان ذلك أخرس، فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع " ([5]). وهكذا أصبح إبليس يحمل وزر خطايا المسيحيين ويسكن أجسامهم فيسبب لهم الأمراض النفسية وغيرها، ولا يقدر على إخراجه من الأجسام إلا القسيس عندما يتلوا بعض التعاويذ. وفي القرون الوسطى في أوربا كان علاج المجانين يتكون من ربطهم بالسلاسل وضربهم ضرباً مبرحاً حتى يتأذى الشيطان فيخرج من أجسامهم.

– وهناك بعض آباء الكنيسة إلى وقت مبكر يصلون من أجل توبة إبليس في نهاية المطاف.

– ويعتقد أتباع السبتية أن المجيء التالي ليسوع ستكون ملازمة لإبليس لألف سنة ثم تحدث معركة "هرمجدون" المواجهة النهائية بين الخير والشر وسيتم فيها تدمير إبليس وأتباعه مره وإلى الأبد وستطهر الأرض من كل الشر وهناك سيكون سماء جديدة وأرض جديدة وتنتهي الخطيئة ([6]) .

المطلب الثالث

حقيقة وجود إبليس عند عرب ما قبل الإسلام

وعرب ما قبل الإسلام في الجزيرة بحكم اختلاطهم باليهود والنصارى كانوا قد تشبعوا بفكرة إبليس(الشيطان) الذي يدخل الأجسام ويسبب الأمراض ولا يخرجه إلا الكاهن الذي لديه " لقي " أي شيطان يتلقى أخبار السماء فيأتي بها للكاهن الذي يستطيع أن يُخبر بالمستقبل ويستطيع أن يكتب تعاويذاً تمنع الشيطان من دخول جسم الإنسان.

وبما أن القوافل التجارية كانت تسافر ليلاً لتفادي حرارة النهار، وبما أن الظلام، خاصةً في وسط محيط من الرمال لا معالم بها، مخيفٌ، فقد تخيل العربي أن الشيطان يسكن في الوديان ويطوف بهذه الصحارى الشاسعة. فأصبح من تقاليد المسافر ليلاً إذا نزل بوادي أن

---

[4]) إنجيل يوحنا، الإصحاح 8، 43-44.

[5]) إنجيل لوقا، الإصحاح 11، 14.

[6])ينظر: نهاية العالم في المعتقدات الدينية.

يسلم على سكان الوادي من الجن ويطلب حماية رئيسهم وشيخهم بأن يترك له طعاماً بالقرب منه. وكان العربي يفسر كل شيء لا يفهمه بأنه من الجن، حتى الشِعر الذي لم يكن يقدر على نظمه إلا القلة، زعموا أنه من الجن وأن للشاعر صاحباً من الجن يساعده على نظم قصائده.

المطلب الرابع

حقيقة وجود إبليس في الإسلام

ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى ذلك فقال: لقد أنكرت قلة من الناس وجود إبليس(الجنّ) إنكاراً كلياً، وزعم بعض المشركين: أن المراد بالجن أرواح الكواكب([7]).

وزعمت طائفة من الفلاسفة: أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيها ([8]).

وزعم فريق من المحْدَثين (بفتح الدال المخففة): أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث.

وقد ذهب الدكتور محمد البهي إلى: أن المراد بالجن الملائكة، فالجن والملائكة عنده عالم واحد لا فرق بينهما، ومما استدل به: أن الملائكة مستترون عن الناس، إلا أنه أدخل في الجن من يتخفي من عالم الإنسان في إيمانه وكفره ، وخيره وشره ([9]) .

الرد على الدكتور البهي:

هذا الكلام يعد من سقطات التفسير الموضوعي للدكتور البهي،ليكون الدكتور محمد البهي حاملا للواء المنكرين (للجن بكل أصنافه سواء كان زعيمهم إبليس أو الشيطان أو الجن العادي) في هذا العصر متوهما أنه سيعطي قضيته شيئا من القوة –بما له من مكانة علمية– أو مخيلا أنه سيبث في كيانها الميت روحا من الحياة، وهيهات. لأن الحق يعرف قبل الرجال وبمعزل عن بريق الألوان والأصباغ. ولقد أعد الدكتور محمد البهي تفسيرا للقرآن أسماه

---

[7]) ابن تيمية(تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ))،مجموع الفتاوى(ج**22**،ص**506**)، الطبعة:الثانية، المدينة النبوية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،سنة الطباعة:1416هـ/1995م. (ج24/ص280)

[8]) ابن تيميه، مجموع الفتاوى:346/4.مرجع سابق.

[9])الدكتور محمد البهي، التفسير الموضوعي، تفسير سورة الجن: ص 8.

بالتفسير الموضوعي وحمل على كاهله فيما حمل أن يصحح –حسب زعمه – اعتقاد المسلمين في الجن وكأن المسلمين – منذ الصدر الأول – كانوا في ضلال الاعتقاد لإيمانهم بالجن، ومضى عليهم أربعمائة سنة بعد الألف وأجيالهم ترسف في ظلمات الجهالة! فماذا جدّ في عالم الموضوعية مما ينفذ أمره ولا يرد دليله وقوله حتى تحمس الدكتور بل وتجرأ ليظهر بوجه الإنكار القبيح؟!

وقبل أن نحكم على كلام الدكتور بما يستحقه من حق أو باطل يسحن –بحكم الموضوعية – أن نعرض رأيه بأمانة كما كتبه في تفسيره، يقول الدكتور في تفسير سورة الفرقان صفحة 4 وهو يحدد معنى عالمية الرسالة الإسلامية: "وقد يميل بعض المفسرين إلى أن العالمية في رسالة القرآن بين الشعوب والأقوام، ولا بين الأجيال والمجتمعات مع اختلاف اللغات واختلاف الزمان ومكان. بل هي العالمية بين ((الجن)) والإنس ...

وقد آن الأوان أن يفهم المتصدي لتفسير القرآن أن لفظ الجن كما ورد في القرآن قصد به غير المعهود للإنسان، وأطلقه القرآن مرة على فريقين من الناس لم يكونوا معهودين للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يجالس المؤمنين في مكة، وورد هذا الإطلاق في سورة الأحقاف 29، 30 في قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيم} وهذا النفر في رأي الدكتور هو فريق من الأوس والخزرج، واستدل على زعمه بما جاء في الآية من ذكر للتوراة والأوس والخزرج كانوا على صلة باليهود. ثم يقول الدكتور في صفحة 5 من تفسيره لسورة الفرقان: "كما أطلق القرآن لفظ الجن مرة أخرى على الملائكة في سورة الصافات 158 في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً} فالسياق قبل وبعد يحدد أن الجنة هنا هم الملائكة الذين ادعى مشركوا قريش أنهم بنات الله في قوله تعالى في السورة نفسها 149 -150: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ} وفيما عدا هذين الموضعين فلفظ الجن مفهوم لغوي لا يقصد منه سوى غير المعهود للإنسان شريرا أو خيّرا ماهرا أو غير ماهر" انتهى كلامه.

ونحن نقول:لقد ورد لفظ الجن كثيرا في القرآن، وإن وروده بهذه الكثرة مما يستدعي انتباه المتأمل لآيات الكتاب. وفي كثير من الآيات يأتي لفظ الجن في مقابلة لفظ الإنس أو يأتي الخطاب لكل منهما يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الرحمن: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ} فمن هما الثقلان إن لم يكونا نوعين مختلفين هما الإنس والجن؟ ويقول الله تعالى: {خَلَقَ الأِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} نلفت النظر هنا إلى ما في الآية من الحديث عن النوعين ومادة كل منهما التي خلق منها، وفي سورة الرحمن نفسها يقول الله سبحانه: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ} فهل يعني القرآن من الجن هنا إنسا غير معهود؟ هذا مع أن الذي يوجه الخطاب هنا هو الله نفسه فكيف يمكن أن يكون الجن عالما غير معهود لخالقه؟! {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ألا يوافقني الدكتور على استحالة تأويله هنا؟! وأي فائدة لذكر جماعة غير معهودة من الإنس مع أن لفظ الإنس يشمل كل الإنس مهما اختلفت صفاتهم؟

كما نريد أنلفت نظر الدكتور إلى ما جاء في كتب السنة الصحيحة من أحاديث تثبت وجود الجن وتؤكد إيمانهم بالإسلام ولا أدري لماذا لم يتعرض لها الدكتور مع أنه من أبجديات ((الموضوعية)) أن يعرض الباحث كل ما يخالف وجهة نظره بدقة وأمانة ثم يتعرض لما فيه بالرد والتعليق. وإنني لأتساءل هل من الموضوعية إهمال السنة وهي البيان للقرآن بل والمصدر الثاني للإسلام عقيدة وشريعة؟!

ماذا يفعل الدكتور في رواية مسلم التي جاء فيها وسألوه – صلى الله عليه وسلم- الزاد. أي سأله الجن زادا لهم. فقال: "لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم" ([10])فهل يرى الدكتور في هذا طعاما للإنس؟ وما رأي الدكتور في قوله صلى الله عليه وسلم: "أوفر ما يكون لحما"؟ أو ليس هذا الكلام واضحا في أنه يحدد طعام عالم آخر وهو عالم الجن الذي ينكره الدكتور والذي يثبته الحديث بل ويثبت له دوابا لها طعامها الخاص.

[10]) ابن كثير، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، مختصر تفسير، الطبعة الأولى(ج3/ص324 -325.

ونفس الكلام على حديث مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الملائكة خلقوا من نور، وأن الجن خلقوا من نار)([11])، ففرق الرسول صلى الله عليه وسلم بين الأصلين، وهذا يدل على أنهما عالمان لا عالماً واحداً.

ومن نظر في النصوص المتحدثة عن الملائكة والجن، أيقن بالفرق الكبير بينهما، فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، والجن يكذبون ويأكلون ويشربون، ويعصون ربهم، ويخالفون أمره.

نعم هما عالمان محجوبان عنا، لا تدركهما أبصارنا، ولكنهما عالمان مختلفان في أصلهما وصفاتهما.

وإني لأتعجب أن يخرج هذا الكلام من عالم وفيلسوف كبير بحج الدكتور البهي مع إن هذا الكلام لم يقل به أحدا أبدا حتى في الديانات المحرفة والأساطير الخرافية ولكن عزائنا أن لكل عالم كبوة.

عدم العلم ليس دليلاً:

وغاية ما عند هؤلاء المكذبين أنه لا علم عندهم بوجودهم، وعدم العلم ليس دليلاً ([12])، وقبيح بالعاقل أن ينفي الشيء لعدم علمه بوجوده، وهذا مما نعاه الله على الكفرة: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ }[يونس: 39]. وهذه المخترعات الحديثة التي لا يستطيع أحد أن يكابر فيها، أكان يجوز لإنسان عاش منذ مئات السنين أن ينكر إمكان حصولها لو أخبره صادق بذلك؟ وهل عدم سماعنا للأصوات التي يعج بها الكون في كل مكان دليل على عدم وجودها، حتى إذا اخترعنا (الراديو)، واستطاع التقاط ما لا نسمع بآذاننا صدقنا بذلك ؟!

---

[11]) النووي (الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي(ت 676هـ) شرح صحيح مسلم، الطبعة الثانية، بيروت . لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي،سنة الطباعة: 1392هـ (ج18/ص123).

[12]) ليس لهم أن يحتجوا بما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان ينكر مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم للجن وتكليمهم له، فإن إنكاره هنا للمشافهة لا للجن، ومع ذلك فغير ابن عباس كابن مسعود – يثبت مشافهة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم. ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

يقول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – في ظلاله متحدثاً عن النفر من الجن الذين صرفهم الله إلى رسوله، فاستمعوا منه القرآن:" إنَّ ذكر القرآن لحادث صَرْفِ نفر من الجن ليستمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، وحكاية ما قالوا وما فعلوا ، هذا وحده كافٍ بذاته لتقرير وجود الجن، ولتقرير وقوع الحادث، ولتقرير أنّ الجن هؤلاء يستطيعون أن يستمعوا للقرآن بلفظه العربي المنطوق، كما يلفظه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولتقرير أن الجن خلق قابلون للإيمان وللكفران، مستعدون للهدى وللضلال، وليس هنالك من حاجة إلى زيادة تثبيت أو توكيد لهذه الحقيقة، فما يملك إنسان أن يزيد الحقيقة التي يقررها سبحانه ثبوتاً.

ولكنّا نحاول إيضاح هذه الحقيقة في التصور الإنساني.

إنّ هذا الكون من حولنا حافل بالأسرار، حافل بالقوى والخلائق المجهولة لنا كنهاً وصفةً وأثراً، ونحن نعيش في أحضان هذه القوى والأسرار، نعرف منها القليل، ونجهل منها الكثير، وفي كل يوم نكشف بعض هذه الأسرار، وندرك بعض هذه القوى، ونتعرف إلى بعض هذه الخلائق تارة بذواتها، وتارة بصفاتها، وتارة بمجرد آثارها في الوجود من حولنا .

ونحن ما نزال في أول الطريق، طريق المعرفة لهذا الكون، الذي نعيش نحن وآباؤنا وأجدادنا، ويعش أبناؤنا وأحفادنا، على ذرة من ذراته الصغيرة؛ هذا الكوكب الأرضي الذي لا يبلغ أن يكون شيئاً يذكر في حجم الكون أو وزنه !

وما عرفنا اليوم – ونحن في أول الطريق – يُعدّ بالقياس إلى معارف البشرية قبل خمسة قرون فقط عجائب أضخم من عجيبة الجن، ولو قال قائل للناس قبل خمسة قرون عن شيء من أسرار الذرة التي نتحدث عنها اليوم، لظنه مجنوناً، أو لظنوه يتحدث عما هو أشد غرابة من الجن قطعاً!

ونحن نعرف ونكشف في حدود طاقتنا البشرية، المعدة للخلافة في هذه الأرض، ووفق مقتضيات هذه الخلافة، وفي دائرة ما سَخّرَه الله لنا؛ ليكشف لنا عن أسراره، وليكون لنا ذلولاً، كيما نقوم بواجب الخلافة في الأرض، ولا تتعدى معرفتنا وكشوفنا في طبيعتها وفي مداها مهما امتد بنا الأجل – أي بالبشرية – ومهما سُخّر لنا من قوى الكون، وكُشِفَ لنا

من أسراره – لا تتعدى تلك الدائرة ؛ ما نحتاج إليه للخلافة في هذه الأرض، وفق حكمة الله وتقديره .

وسنكشف كثيراً، وسنعرف كثيراً، وستتفتح لنا عجائب من أسرار هذا الكون وطاقاته، مِمّا قد تعدّ أسرار الذرة بالقياس إليه لعبة أطفال! ولكننا سنظل في حدود الدائرة المرسومة للبشر في المعرفة ، وفي حدود قول الله سبحانه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء:85] قليلاً بالقياس إلى ما في هذا الوجود من أسرار وغيوب لا يعلمها إلا خالقه وَقَيّومه، وفي حدود تمثيله لعلمه غير المحدود ، ووسائل المعرفة البشرية المحدودة بقوله: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[لقمان: 27]

فليس لنا والحالة هذه أن نجزم بوجود شيء أو نفيه، وبتصوره أو عدم تصوره، من عالم الغيب والمجهول، ومن أسرار هذا الوجود وقواه، لمجرد أنه خارج عن مألوفنا العقلي، أو تجاربنا المشهودة، ونحن لم ندرك بعد كل أسرار أجسامنا وأجهزتها وطاقاتها ، فضلاً عن إدراك أسرار عقولنا وأرواحنا!

وقد تكون هنالك أسرار، ليست داخلة في برنامج ما يُكشَف لنا عنه أصلاً، وأسرار ليست داخلة في برنامج ما يُكْشَف لنا عن كنهه ، فلا يُكْشَف لنا إلا عن صفته أو أثره، أو مجرد وجوده؛ لأن هذا لا يفيدنا في وظيفة الخلافة في الأرض .

فإذا كَشَفَ الله لنا عن القدر المقسوم لنا من هذه الأسرار والقوى ، عن طريق كلامه – لا عن طريق تجاربنا ومعارفنا الصادرة من طاقتنا الموهوبة لنا من لدنه أيضاً – فسبيلنا في هذه الحالة أن نتلقّى هذه الهبة بالقبول والشكر والتسليم ، نتلقاها كما هي، فلا نزيد عليها، ولا ننقص منها ؛ لأن المصدر الوحيد الذي نتلقّى عنه مثل هذه المعرفة لم يمنحنا إلا هذا القدر بلا زيادة ، وليس هنالك مصدر آخر نتلقى عنه مثل هذه الأسرار!".

والقول الحق أن الجن عالم ثالث غير الملائكة والبشر، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة ، ليسوا بأعراض ولا جراثيم ، وأنهم مكلفون مأمورون منهيون .

المبحث الثاني

الأدلة الدالة على وجود إبليس رأس الجن في القرآن والسنة النبوية المطهرة

وفيه تمهيد ومطلبان

تمهيد:

إذا كنا نتحدث عن عالم مليء بالعجائب والغرائب عالم مخفي غير مرئي،ونريد أن نطهره مما ران عليه من الخرافات والضلالات فلابد لنا وأن نتحرى الدقة في اختيار الأدلة بأن تكون في صلب الموضوع وأن تكون واضحة وصريحة بمعنى أن لانلوي عنق النص حتى نثبت وجهة نظرنا،وإذا كانت الأدلة من السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليمات أن تكون صحيحة واضحة ولا تتعارض مع أدلة أخرى لأن الخوض في هذا الموضوع أعني به حياة إبليس خوض في بحر متلاطم الأمواج غير مأمون العواقب وهو رحلة محفوفة بالمخاطر لاينجو منها إلا من أخلص وجهه لله وتحرى الدقة ما استطاع، الأمانة العلمية،كذلك لابد من الاستدلال بأقوال الصحابة الكرام عليهم سحائب الرضوان، وأقوال العلماء العاملين الثقة المعتد بآرائهم، حتى تكتمل جميع جوانب الأدلة النقلية التي تثبت حقيقة ثابتة لا يرتاب فيها ألا عيي. ألا وهيا حقيقة وجود إبليس رأس الشياطين وكبير الحاسدين والناقمين على قضاء أحكم الحاكمين.

المطلب الأول

الأدلة النقلية

1- وجودهم معلوم من الدين بالضرورة :

يقول ابن تيمية ([13]): " لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن وعلى رأسهم إمامهم إبليس، ولا في أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن. أمّا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرّون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك ... كالجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرّين بذلك .

[13])ابن تيمية،مجموع الفتاوى(ج19/ص10)بتصرف يسير.

وهذا لأن وجود الجن ورئيسهم إبليس تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالضرورة، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة، فلا يمكن لطائفة من المنتسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم" .

وقال أيضاً: " جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن والشياطين، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونان من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقرّ بوجود الجن"([14]) .

وذكر إمام الحرمين: " أن العلماء أجمعوا في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين" ([15]) .

2- النصوص القرآنية والحديثية:

جاءت نصوص كثيرة تقرر وجوده هو وأتباعه من الجن منها قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[البقرة: 34].

كقوله تعالى:{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} [الجن:1]،

وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}[الجن:6] . وهي نصوص كثيرة سنذكرها في مواضعها في ثنايا ها البحث.

ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فألتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: أستطير أو أغتيل، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا به جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال صلى الله عليه وسلم: أتاني داعي الجن فذهبت معه

---

[14])المرجع السابق، (ج19/ص13).

[15])الشبلي(محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين (المتوفى: 769هـ) المحقق: إبراهيم محمد الجمل، آكام المرجان في أحكام الجان، الناشر: مكتبة القرآن – مصر – القاهرة،: ص 4 .

فقرأت عليهم القرآن، قال ابن مسعود: فأنطلق بنا ، صلى الله عليه وسلم، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم...) ([16])

وروي في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم كما وصف لكم)([17])

وذكر الإمام أحمد عنه أنه كان إذا غزا أو سافر، فأدركه الليل، قال:(يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شَرِّك وشر ما فيك، وشر ما خُلِق فيك، وشر ما دب عليك، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود، وحية وعقرب، ومن شر ساكن البلد، ومن شر والد، وما ولد)). ([18]). وساكن البلد والوالد الذي ولد هم الشياطين. وساكن البلد هذا كان قد اختار بلاداً بعينها ليسكنها، فمثلاً، عندما كان عمر بن الخطاب بالشام وأراد الذهاب إلى العراق، قال له كعب الأحبار أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك قال وما تكره من ذلك قال بها تسعة أعشار الشر وكل داء عضال وعُصاة الجن وهاروت وماروت وبها باض إبليس وفرّخ " ([19]).

وما رواه البخاري ومسلم في سبب نزول قوله تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} والرواية تقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوحي إليه قول الجن والحديث طويل. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها

---

[16])النووي (الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي(ت 676هـ)، الطبعة الثانية، بيروت . لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي،سنة الطباعة: 1392هـ، (ج4/ص170).

[17])سبق تخريجه.

[18])ابن القيم،(محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية) المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، زاد المعاد في هدي خير العباد ،(ج2، ص 246).موسسة الرسالة،سنة النشر،1418هـ.1998م.

[19]) ابن عساكر،(علي بن الحسن(ت: 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت،(ج1/ص 147).

يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً} وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} وإنما أوحي إليه قول الجن" ([20]).

3- المشاهدة والرؤية:

كثير من الناس في عصرنا وقبل عصرنا شاهد شيئاً من ذلك، وإن كان كثير من الذين يشاهدونهم ويسمعونهم لا يعرفون أنهم جنّ؛ إذ يزعمون أنّهم أرواح، أو رجال الغيب، أو رجال الفضاء...

وأصدق ما يروى في هذا الموضع رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم للجن، وحديثه معهم، وحديثهم معه، وتعليمه إياهم، وتلاوته القرآن عليهم، وسيأتي ذكر ذلك في مواضعه.

رؤية الحمار والكلب للجن:

إذا كنا لا نرى الجن فإنّ بعض الأحياء يرونهم كالحمار والكلب، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً) ([21]) .

وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار، فتعوذوا بالله، فإنهن يرون ما لا ترون) ([22]).

ورؤية الحيوان لما لا نرى ليس غريباً، فقد تحقق العلماء من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، ولذلك فإنّه يرى الشمس حال الغيم، والبومة ترى الفأر في ظلمة الليل البهيم.

---

[20]) أخرجه البخاري في التفسير وفي الصلاة والترمذي والنسائي في التفسير.

[21]) رواه البخاري: 350/6. ورقمه: 3303. ورواه مسلم: 2092/4. ورقمه:2729. وأبو داود في سننه . انظر صحيح سنن أبي داود: 961/3. ورقمه : 4255.

[22]) صحيح سنن أبي داود : 961/3 . ورقمه : 4256 .

المطلب الثاني

الأدلة العقلية

إن العقل لا يمنع وجود عوالم غائبة عن إدراكنا وحِسنا، لأنه ثبت وجود أشياء كثيرة في هذا الكون لا يراها الإنسان ولكنه يحس بوجودها، وعدم رؤية الإنسان لشيء من الماديات لا يستلزم عدم وجودها، ولو كان الاستدلال بعدم رؤية الشيء على عدم وجوده صحيحاً وأصلاً ينبغي للعقلاء الاعتماد عليه لما بحث عاقل في الدنيا عما في الوجود من المواد والقوى الفيزيائية والمادية المجهولة، ولما كشفت الجراثيم وغيرها، ولما درسنا الكواكب والنجوم وعالم الفلك، إن علم الإنسان البشري لم يحط بكل أصناف الحياة في هذا الكون ، {وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً }، [الإسراء:85] ، كما إن وجود عوالم أخرى تحوي أجناساً من الحياة لا نعلمها ليس دليلاً كافياً على إحاطة العقل بكل الكون. ولهذا اهتمت جامعات كثيرة في العالم بالبحث في علم الباراسايكولوجي، أو المس الشيطاني كما يسموه المسلمون، ومنها على سبيل المثال جامعة كورنينجن وسيتي كوليدج في نيويورك، وفي انكلترا تواصل الكلية البريطانية للعلم الروحي أبحاثها في هذا العلم، وكذلك كلية أدنبرة الروحية، وجامعة لندن أصبح بها معمل للبحوث سمي (المعمل الوطني للبحث الروحي) وتصدر جريدة أسبوعية توضح آخر الأبحاث في هذا المجال، أما في فرنسا فيوجد المعهد الدولي لما وراء الروح.وبما إن النار متكونة من موجات حرارية وكهرومغناطيسية وضوئية والجن مخلوق من نار وبالتالي يمكن تفسير كثير من الظواهر التي تتعلق بالجن لكونهم مخلوقين من موجات كهرومغناطيسية أو لهم علاقة بالعالم الموجي غير المعروف لدينا بشكل واضح، والسؤال هو كيف يستطيع الجن التحكم في العقل البشري، أو يؤثر فيه، وبالطبع لا يمكن الإجابة عن ذلك إلا بالرجوع لآراء العلماء في علم البحوث الكهرومغناطيسية والذين درسوا آثار الموجات الكهرومغناطيسية على جسم الإنسان ومنها مقالة كتبها العالم البروفيسور أيف روكار صاحب بحوث القنبلة الهيدروجينية الفرنسية فلقد أوضح أن الحاسة السادسة في الإنسان والقدرات الخارقة لنقل المعلومات عن بعد والرؤية عن بعد كالاستجلاء البصري وغيرها يمكن تفسيرها بفضل الكهرومغناطيسية. ومن المعروف علمياً أن الدماغ في الإنسان يمكن أن يتأثر بالموجات الكهرومغناطيسية، وبما أن الجن مخلوق من نار وهو الرأي الثابت

لأهل الديانات السماوية والنار هي عبارة عن طاقة موجية، وبالتالي فإن الموجات عموماً لها تأثير على عقول البشر وبالتالي يمكن تفسير الوسوسة الشيطانية بتأثير موجي على العقل وغير ذلك من الظواهر الغريبة لعالم الجن التي تصيب.

obeikan.com